مجلة العلوم السياسيّة

اسم المقال: العمل الدبلوماسي وأهميته في تخطيط السياسة الخارجية
اسم الكاتب: أ.د. أحمد نوري النعيمي
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/248
تاريخ الاسترداد: 2025/04/19 16:45 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة العلوم السياسيّة جامعة بغداد ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

العمل الدبلوماسي وأهميته في تخطيط السياسة الخارجية

الأستاذ الدكتور أحمد نوري النعيمي(*)

المقدمة

أن العمل الدبلوماسي وأهميته في تخطيط السياسة الخارجية يفترض توافر النقاط الآتية :

1. اختيار الأداة بمعنى اختيار أصلح أداة تعكس حقيقة الموقف من جانب وبحيث تصرف طاقة قوية للوصول إلى تنفيذ القرار السياسي، إن إعلان حرب والدخول في قرار يستخدم القوة لمجرد مواجهة إهانة السفراء لا تعني قوة للدولة صاحبة الشأن. وإنما اختلال في سياستها الخارجية.
2. التنسيق بين الأدوات ، أن مخطط السياسة الخارجية لابد من أن يقوم بمثل هذا الدور، وعلى النمط الخارجي فإن العمل الدبلوماسي والعمل العسكري والعمل الدعائي يجب أن يكمل كل منها الآخر، إلى درجة أن كلا منها يكون الهجوم الأول وخط الدفاع الأخير.

وفي هذا المجال، لابد من معرفة الوظيفة الدبلوماسية من حيث علاقتها بالنواحي العلمية للإعداد الدبلوماسي – بالنسبة للرجل الدبلوماسي – التي تكوّن مجموعة من الصعوبات إذ يمكننا إيجازها في الآتي:

أ. فأول هذه الصعوبات يرتبط بالتناقض الواضح بين طبيعة المنهاج العلمي والثقافي التي درج عليها الدبلوماسي، لقد درج الأخير على منطق العلوم الاجتماعية، إذ أن دراسته تقوم على ثقافة قانونية أو تاريخية، في وقت أضحى فيه المنطق العلمي يسيطر عليه الأسلوب الرياضي والإحصائي، هذا يفسر اتجاه تقاليد بعض الدول إلى الفصل الواضح بين واضع ومخطط السياسة الخارجية من جانب والقائم

(*) أستاذ متمرس في كلية العلوم السياسية بجامعة بغداد.

بالوظيفة الدبلوماسية من جانب آخر، الأول ذو ثقافة علمية متخصصة يغلب عليها التحليل الرياضي إذ تتقابل نظرية الاحتمالات بالنظرية الإستراتيجية، أما الثاني فهو ذو ثقافة عامة تكاد تكون سطحية يفترض فيها أن تؤدي وظيفة تنفيذية تجعل منه أقرب إلى رجل العلاقات العامة ، من أن يشارك ولو بطريقة غير مباشرة إعداد السياسة الخارجية ، ويمكننا انتقاد هذا الاتجاه في النقاط الآتية:

تشمل الدبلوماسية صياغة السياسة الخارجية لدولة ما وتطبيقها أيضا . وتشمل صياغة هذه السياسة بدورها ، جمع المعلومات وتقويمها عن محيط البيئة الدولية ووضع الخطوط البديلة للسياسة في الميزان . ويشمل تطبيق تلك السياسة إعلام الحكومات والشعوب الأخرى بالخط الذي تقرر انتهاجه في مجال السياسة الخارجية ، وبذل المساعي لشرح هذه السياسة وتبريرها لهم وضمان تعاونهم ، حيث يكون ذلك مناسبا ، أو تحييد معارضتهم عند تطبيقها بالمنطق والإقناع إذا أمكن ، لكن قد يحتاج الأمر أحيانا إلى التهديد باللجوء إلى القوة أو إلى أنواع أخرى من الإكراه . وتبعا لذلك نرى أنه من وجهة النظر العملية، أن كل دبلوماسي مدعو ولو في مرحلة معينة من مراحل حياته، إلى أن تكون له المشاركة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في إعداد السياسة الخارجية ، والحالة الأخيرة تفترض التمييز بين الطوائف الثلاث: فهناك أولاً السياسي، أي الرجل الذي يصل إلى السلطة من خلال تفاعله بالقوى السياسية المحلية ، سواء كان هذا التفاعل عن طريق الأساليب الديمقراطية-أي الانتخاب- أو تم عن طريق الأسلوب التكنوقراطي أي العلاقات الشخصية ، ووزير الخارجية في أغلب الأحيان، وكذلك معاونوه المباشرون ينتمون إلى هذه الطائفة، ثم أن هناك خبراء السلطة، أي ذلك المتخصص الذي يدعى من جانب السلطة الحاكمة ليقدم له معونته وخبراته، مع افتراض أنه لا ينتمي إلى تلك السلطة لا حزبيا ولا عقيديا، بل ومن المصلحة عدم انتمائه، وإلا فقد القدرة على التجرد وعدم التمييز . فهل تفتح له جميع مصادر المعلومات؟ الإجابة بنعم تفرض نفسها نظريا لأنه لا يمكن أن تطالب الطبيب بالعلاج والتشخيص دون أن يسمح له بأن يتفقد جميع أجزاء

الجسد موضع العناية ، ودون أن نثق في شخصه فنرفع الحجاب عن الماضي والحاضر . ولكن ليس من حق الطبيب أن ينشر ما حصل عليه من معلومات بأي شكل كان وإلا خضع لطائفة العقاب . هكذا خبير السلطة يجب أن يخضع لقواعد صارمة مماثلة.

وخبراء السلطة أعدوا إعدادا منهجياً يسمح لهم بالتنبؤ بالأحداث وبقياس التصرفات ومن ثم ببناء أنماذج للسياسة الخارجية، أما الطائفة الثالثة فهي طائفة الدبلوماسيين الذين يقومون بعملية التمثيل على مستوى العلاقات الدولية، إذاً يمكننا القول أن خبير السلطة يعد أنماذج القرارات السياسية، والسياسي يختار بين الأنماذج ويتخذ القرار النهائي، والدبلوماسي يقوم بعملية التنفيذ.

والحق، أنه لم نستطع حتى الآن أن نميز بين هذه الوظائف الثلاث وأن نجعل من كل منها وظيفة مستقلة تفترض إعداداً مستقلاً ومواصفات مختلفة إلا تلك الدول التي وصلت إلى درجة متقدمة من حيث التقاليد السياسية كفرنسا وبريطانيا العظمى وروسيا الاتحادية وإلى حد ما الولايات المتحدة الأميركية، أما في المجتمعات الأخرى بصفة عامة فإن أي دبلوماسي قد يرقى في السلم فإذا هو فجأة بحكم درجته الإدارية أضحى مدعواً لأن يشارك بطريق مباشر في إعداد السياسة الخارجية .

على أن هذه المأساة تزداد خطورة في المجتمعات النامية، فليس فقط الدبلوماسي لا يعرف حدود وظيفته إزاء من يتولى صياغة القرار السياسي بل السياسي Politicain إزاء كل منها، فكم من رجل ليس له من إعداد مهني في أي من معانيه كخبير للسلطة أو كدبلوماسي محترف وجد نفسه فجأة في منصب السفارة لم يتردد بهذه الصفة لا فقط في أن يقوم بوظيفة تنفيذية بل وفي أن ينتزع حقه بالمشاركة في اتخاذ القرار السياسي، على أن هناك ناحية أخرى تجعل من هذا الخلط بين الوظائف أمراً بالغ الخطورة ، ذلك أنه في المجتمعات المتقدمة يوجد هناك العديد من الوسائل تسمح بضبط الإخفاق في السياسة الخارجية والرقابة لتحديد المسئولية، أما في المجتمعات النامية إذ الحياة السياسية بدائية وحيث الرقابة على عمل الإدارة لا وجود لها، وحيث الضبط الإداري الذاتي ضعيف وشكلي فإن الإخفاق يصير ولا مفر منه.

ب. الصعوبة الثانية تتركز في موقف علماء العلاقات الدولية من النواحي المنهاجية ، فالمسلم به أن نظرية العلاقات الدولية تعاني قصوراً واضحاً من هذه الناحية حتى أن جميع المتخصصين يصفونها بأنها القسم المتخلف من العلوم السياسية، فإذا كانت دراسة العلاقات الدولية هي نوع من أنواع البحث العلمي وصورة من صور المعرفة المنظمة، فإن الوظيفة الدبلوماسية تجمع بين العلم والخبرة والفن[1].

ولأهمية هذا الموضوع ، فقد عالجناه تبعا للتقسيم الآتي : الصفة العلمية للوظيفة الدبلوماسية، السياسة الخارجية والدبلوماسية، الدبلوماسية المعاصرة ونظرية التفاوض.

الصفة العلمية للوظيفة الدبلوماسية

تعد مادة السياسة الخارجية من المواد الرئيسة في مفردات علم السياسة ، لا سيما إذا عرفنا أنها تدرس في جامعات متقدمة بلغة سوسيومترية يطغى عليها نظرية التكامل والتفاضل في الرياضيات والإحصاء التي من شأنها محاولة الوصول إلى بناء نظرية عامة في السياسة الخارجية.

تأخذ الدراسات الاجتماعية وفي مقدمتها السياسة الخارجية مجموعة من الأبعاد يمكننا إيجازها في الآتي:[2]

1 – الوصف (Description) حيث يقوم على إعداد صورة لموضوع البحث حسب الشكل الذي شوهد عليه .

2 – التوضيح (Explanation) وهدفه الرئيس هو استخراج الديناميكيات التي تبدو من خلال عملية معاشة، أو ظاهرة ملاحظة في إطار العلاقات السببية للحدث (السبب – النتيجة).

ويتطلب الربط بين بعدي "الوصف" و"التوضيح" إيجاد مجموعة من المفاهيم المنسجمة بعضها مع بعض .

3 – الفهم (Understanding) يعطي عمقا لبعد التوضيح ، حيث يستلزم استيعاب الظواهر في إطار عملية منطقية .

فعملية التوضيح هي محاولة لإيجاد العلاقة السببية بين الظواهر محل البحث ، ويستهدف الفهم محاولة الوصول إلى حقيقة الظاهرة من خلال التصورات الذهنية عنها ، ويتطلب هذا عملية تجريد ذهني منسجمة ومنظمة .

4 – التفسير (Interpretation) يتطلب موقفا أصيلا ، وإطارا نظريا جوهريا ومبتكرا . وهذا لا يعني في حد ذاته مجرد النفاذ إلى حقيقة الظاهرة فحسب، بل يتطلب الشعور بالظاهرة ، واستيعاب التطورات المتعلقة بها ، ووضع كل عنصر من عناصرها في مكانه في شكل متكامل . ويتحتم على كل محاولة " للتفسير " أن ترتكز على إطار نظري منسجم ومتماسك من الداخل .

وتعد عملية الانتقال من الملاحظة إلى وضع المفاهيم، ومن عملية وضع المفاهيم إلى الفهم التجريدي، ومن التجريد إلى النظرية، المفاتيح المنهجية للانتقال من "الوصف" إلى "التوضيح"، ومن "التوضيح" إلى "الفهم"، ومن "الفهم" إلى "التفسير".

5 – التوجيه (Direction) هو إمكانية استخراج النتائج من إطار "التفسير"، والتأثير في الظواهر والعمليات بناء على هذه النتائج . ولابد لمحاولة " التأثير " هذه أن تحفز ساحة المسئولية السياسية والاجتماعية، والتي تفعل بدورها البعد الأخلاقي للجهود العلمية المبذولة في هذا المجال. وفي الوقت الذي تبقى فيه الأبعاد الأربعة المذكورة على أرضية ذهنية ، يشكل البعد الخامس " التوجيه " جسرا بين العمليات الذهنية وبين عملية التطبيق . ويعد هذا الوضع متداولا إلى حد كبير في مجال العلاقات الدولية على وجه الخصوص . كما تشكل الأبعاد الأربعة الأولى مراحل ذهنية ، للوصول إلى البعد الأخير " التوجيه " ، عند كثير من المحللين الإستراتيجيين الذين أحدثوا تأثيرا في التوجهات الإستراتيجية لبلادهم .

قد يبدو في البداية، أن منطق العلوم الرياضية هو منطق رمزي يتصادم مع المنطق السياسي القائم على قيم Values، ويفترض أحكاماً Judgment، وهي جميعها تتصادم مع خصائص التحليل الرياضي، لأن التطور المعاصر يجعل من أداة التحليل الرياضي عنصراً أساسياً من عناصر بناء النظرية السياسية . من هذا المنطلق، كانت هناك محاولات من بعض العلماء لخلق ما أسموه بالرياضة الإنسانية، وهي ترتبط بخصوص الظواهر التي لا تخضع بطبيعتها لعملية التمويل الكمي.[3]

وهنا لا بد من الإشارة ، من أن عملية بناء الأنموذج التي تتباين من عملية بناء النظرية Theory Building ، هي عملية عقلية تخضع للعلوم الرياضية في التحليل . في حين تتميز العلوم الاجتماعية، بصفة عامة ، بأن موضوعها لا يفسر ذاته تلقائيا كما هو الحال في العلوم الطبيعية[4]. ومن هنا تأتي أهمية اعتماد عملية البحث السياسي على الأساليب الرياضية، وفي هذا المجال يثار السؤال الآتي : أليست الأساليب الرياضية هي الدراسة المنطقية للعلاقات الرمزية ؟ من هذه العلاقة ، بين التحليل السياسي ، والمنطق الرياضي نستطيع أن نذهب إلى القول ، أنه كيف أستطاع أسلوب التحليل السياسي ، استخدام أدوات التحليل التي كانت مصدرها العلوم الأخرى في بناء النظرية المنهاجية : تحليل إحصائي في التمويل الكمي، تحليل نفسي في التحليل المعملي ، تحليل رياضي في عملية التجريد الفكري والبناء الرمزي لأنماذج التحليل.[5]

أهمية النظرية لأي فرع معرفة ابتداء من علوم الفيزياء والأحياء إلى الأدب ، فن العمارة ، الاقتصاد والسياسات وأي شيء فيما بينها ، لا يمكن المغالاة في التأكيد عليها . الحقائق أو البيانات حول العالم الاجتماعي أو الطبيعي التي تحصل عليها عن طريق الملاحظة ، التجريب، الخبرة ، أو المشاركة لا تتحدث أبدا عن نفسها بنفسها . مثل هذه الحقائق التي لا تثبت بالضرورة ذاتها ، أو غير غامضة على أية حال ، تحتاج إلى استنباطها ، اختيارها ، تنظيمها، تفسيرها، وشرحها بطريقة نظامية قبل أن يكون لها معنى يمكن فهمه . هذه هي عملية التنظير في العلوم الاجتماعية، توجد أشكال مختلفة من التنظير، تمتد من مناهج التجريب التي تستخدم بيانات فعلية، غالبا تستخرج من طريق كمية التي تسعى إلى قياس الظواهر بالنسبة لأولئك الذين يتحاملون مع الأفكار المجردة، والتفسير المتداخل للمعنى ، ومع ذلك، قد تستخدم أشكال أخرى حزمة من المناهج[6].

التنظير الذي يتناول البيانات الحقيقية يمثل غالبا التفكير في أن تكون أكثر "دقة عملية"، يفترض الممارسون أنهم ينتجون معرفة علمية موضوعية وتتسم بالمصداقية على نطاق شامل دون أسس معيارية أو أيديولوجية. يعرف المنهج العلمي بصفة عامة بالايجابية ، وكما اقترح من قبل، يقال غالبا أنه يصف غالبا دراسات السياسات وأيضا العلاقات الدولية في بريطانيا. ولكن أشكال التنظير التي تخاطب الموضوعات المعيارية – مثل أخلاقيات الحرب ، الحقوق

الإنسانية ، التوزيع العادل للموارد ، وهكذا – لا يمكنها أن تتفادى الانخراط في الموضوعات عميقة الفلسفة الوضعية، بما يجعل التنظير الموضوعي مستحيلا عمليا. سوف يدعي كثيرون، أن التحيزات الشخصية قائمة أيضا عمليا في كل الطرق العلمية، سواء كان الإدعاء أنها علمية أو غير علمية ، وأن المعرفة الموضوعية الخالصة ببساطة غير قابلة للتحقيق، على الرغم من ادعاءات الموضوعية. يميل هذا أيضا إلى التقليل من شان المصداقية الشاملة لأي نظرية[7].

بصفة عامة، تدعي كل النظريات أنها تقدم معلومات من نوع ما أو آخر، يضاف إلى ذلك، تتنافس النظريات كل منها مع الأخرى ، عادة تدعي كل منها أنها تقدم تفسيرا متفوقا أو شرحا للعالم، أو أوجه معينة منه. التنظير في حقل العلاقات الدولية يتناول بالطبع العالم السياسي ككل، وما الذي يجعله يتماسك معا أو لا يتماسك—كما يمكن أن تكون الحالة[8].

يدور مفهوم استخدام المنطق العلمي في الدبلوماسية حول ثلاثة مفاهيم رئيسة:[9]

1- إمكانية التنبؤ برد الفعل ، يليه بعد ذلك تقديم أنموذج للحركة .
2- تصور نتائج الحركة السياسية وآثارها على المستوى الداخلي والإقليمي والدولي .
3- قياس الرأي العام لاكتشاف الاتجاهات الحقيقية بصدد أعداد قرار معين . والرأي العام هنا ينبغي أن يفهم على أنه يمثل الرأي العام الخارجي أو الإقليمي .

وفي هذا الشأن ، ينبغي أن نؤكد ، من أن استخدام المنهج العلمي بالمعنى الواسع لا يعدو وأن يكون محاولة رفض مفهوم الانطباع في دلالته التقليدية ، ووضع قواعد تسمح بالضبط الكمي والكيفي للانطباعات . وهنا يجب أن نميز بين التحليل الكمي والتحليل النوعي والتحليل الكيفي ، إذ أن التحليل الكمي تغلب عليه فكرة التكرار ، بمعنى آخر أن عدد المرات التي تساق فيها كلمة معينة أو حجة معينة أو رمز معين يمثل في ذاته الدلالة التي يجب أن نبحث عن اكتشافها التي تكفينا في التحليل . وراء هذا الأسلوب تستتر فكرة عامة وهي أن رقم التكرار يعني درجة معينة من الاهتمام ، أو بتعبير آخر يعكس فكرة الأهمية . أما التحليل النوعي فأنه لا يقف عند ذلك ، وإنما يسعى إلى اكتشاف ما هو أبعد من التكرار ،

أي ما هو أبعد من الاهتمام . التحليل النوعي يقدم تساؤلات حول وجود صفة معينة من عدمه ، حيث أن الصفة تحدد النوع ، وهكذا هو قد يتساءل هل الاهتمام هو بالتأييد أو بالمعارضة ، بالقبول أم بالرفض . أما التحليل الكيفي فأنه يمثل خطوة نحو الأمام : التكرار لا يكفيه ولكن النوع أيضا لا يقنعه . أنه يريد أن يجيب عن السؤال كيف حدث الوصول إلى تلك الصفة ؟ بعبارة أكثر دقة ، فأنه يتابع الحقيقة الاتصالية كعملية تطور ، ومن ثم يسعى إلى التعمق في حقيقة العملية النفسية التي تستتر وراء الكلمات والرموز[10].

ولأهمية المنطق العلمي في دراسة السياسة الخارجية والدبلوماسية ، بدأت تظهر في السنوات الأخيرة بما يسمى بمراكز التفوق في البحث السياسي . ويكفي أن نتذكر بهذا الخصوص الأبحاث التي تجرى بجامعة شيكاغو لحساب البنتاغون حول ظاهرة الذعر الجماعي كأحد الأساليب المكملة للسياسة الخارجية[11].

وبلغ الأمر بهذا التقدم والتخصص ، أن بدأت الأساليب العلمية تغزو الدول الصغيرة أو على الأقل الدول غير الكبرى، فمراكز تحليل السياسة الخارجية اليوم منتشرة في جميع أنحاء العالم بما في ذلك دراسة السياسة الخارجية للدول غير الكبرى . فالهند بعد الصين الشعبية تولي اهتماما كبيراً بهذه الأساليب. وينبغي في هذا المجال أن لا ننسى اهتمامات الكيان الصهيوني بتحليل السياسة الخارجية لها[12].

ويمكننا آن نذهب إلى القول في هذا المجال ، إذا كانت مادة العلاقات الدولية تعد من أفقر المواد في علم السياسة من حيث الاعتماد على لغة الرياضيات والإحصاء بسبب هيمنة الدراسات التاريخية والقانونية عليها ، نرى أن مادة السياسة الخارجية تعد من أكثر مواد علم السياسة علمية بسبب العوامل السالفة الذكر .

وعلى الرغم ، من هذه الملاحظات على مادة العلاقات الدولية من حيث تواضعها العلمي ، أشار الفريد زيمرن الذي كان أستاذا للعلاقات الدولية عام 1935 في جامعة أكسفورد حيث قال : " إن دراسة العلاقات الدولية تمتد من العلوم الطبيعية من جهة ، إلى الفلسفة الأخلاقية من جهة ثانية". وعرف هذا الحقل من الدراسة لا على أساس أنه موضوع أو نسق واحد ولكن على أساس أنه " مجموعة من الموضوعات ينظر إليها من زاوية مشتركة"[13].

السياسة الخارجية والدبلوماسية :

هناك ثمة اختلاف في مفهومي السياسة الخارجية والدبلوماسية ، إذ " أن السياسة الخارجية لدولة ما هي : تدبير نشاط الدولة في علاقاتها مع الدول الأخرى ، أو المنهج الذي تسير بمقتضاه الدولة في علاقاتها في الشئون السياسية والتجارية والاقتصادية والمالية مع الدول الأخرى [14].

ينبغي أن نميز بين ثلاثة معان مختلفة لمصطلح الدبلوماسية[15]:

1- إدارة العلاقات بين الدول وغيرها من الكيانات ذات المكانة البارزة على صعيد السياسة العالمية من قبل وكلاء رسميين وبوسائل سلمية . وهذا أوسع معاني هذا المصطلح ، وهو ما نقصده هنا .

2- مثل هذه الإدارة من قبل دبلوماسيين محترفين . وهذا على سبيل المثال ، جزء من التعريف الوارد في معجم أكسفورد للغة الإنكليزية الذي استعمله السير هارولد نيكولسون: "الدبلوماسية هي إدارة العلاقات الدولية بالتفاوض، الأسلوب الذي تعدل به هذه العلاقات على يد السفراء والمبعوثين، عمل الدبلوماسي المحترف أو الفن الذي يؤدي به هذا العمل". وهذا التعريف يقلص معنى الكلمة دون موجب في زمن انكمش فيه إلى حد كبير دور السفراء والمبعوثين في إدارة شئون العلاقات الدولية.

من الممكن إجراء التفاوض للتوصل إلى اتفاقات بين الدول من دون وساطة الدبلوماسيين المهنيين، بل إنه يتم بالفعل دون تلك الوساطة . ومن المعروف أنه يتم تجاوز الدور الذي كان للسفير المقيم ، مثلا ، بعقد اللقاءات المباشرة بين القادة السياسيين للدول ، كالخبراء الفنيين الذين يتفاوضون للتوصل إلى اتفاقات خاصة بموضوع تقني . غير أن من الخطأ أن نخلص إلى أن دور الدبلوماسيين المهنيين في التفاوض من أجل التوصل إلى اتفاقات لم يعد مع ذلك دورا حيويا . فإبرام الاتفاقات من قبل رؤساء الدول أو وزراء الخارجية يكون في الأغلب مجرد تتويج لعملية طويلة من التقصي والتحري والاختبار في ما يخص المقترحات المطروحة ، فضلا عن عملية التفاوض

الأولي التي يقوم بها الدبلوماسيون المهنيون . زد على ذلك ، أن مهنة الدبلوماسيين تعد مخزنا حافلا من المهارات والأساليب المتخصصة في مجال التفاوض .

3- مثل هذه الإدارة للعلاقات بين الدول بأسلوب " دبلوماسي " بالمعنى اليومي للمصطلح ، أي بأسلوب لبق أو حذر . ومن الأمثلة على هذا التعريف الجزء الأول من التعريف الشهير الذي أورده سير أرنست ساتو : " الدبلوماسية هي ممارسة الذكاء واللباقة في إدارة العلاقات بين حكومات الدول المستقلة ، وتمتد أحيانا لتشمل أيضا علاقاتها بالدول التابعة ، أو باختصار أشد ، إدارة الأعمال بين الدول بالوسائل السلمية " . وهذا من الطبيعي ، تعريف يمثل ما يعتقد ساتو كيف يجب أن تكون الدبلوماسية لا ما هي عليه بالفعل : فمحترفو الدبلوماسية قد لا يكونون أذكياء ولبقين ، لكن هذا لا يحول دون أن يظلوا دبلوماسيين محترفين .

تندرج الوظائف التي أدتها الدبلوماسية بالنسبة إلى إقرار النظام ضمن نظام الدول الحديث في ما يلي:[16]

أولا : الدبلوماسية تيسر سبل التواصل بين القادة السياسيين وبين الوحدات الأخرى في مجال السياسة الدولية . فمن دون هذا التوصل لا يمكن أن يقوم مجتمع دولي ولا أي نظام دولي على الإطلاق . وبهذا ، تكون الوظيفة الأولى والأساسية للدبلوماسيين هي أن يكونوا رسلا ، وكشرط لأداء مهمتهم بشكل فاعل ، يبرز الميثاق أو المؤسسة الدبلوماسية الأولى والأساسية ، بل ربما كانت الوحيدة الشائعة في المجتمعات الدولية التاريخية جميعا ، ألا وهي حصانة المبعوث من أن يقتل أو أن تقيد حركته من قبل الدولة المضيفة .

والوظيفة الثانية للدبلوماسية هي التفاوض للتوصل إلى اتفاقات . والعلاقات الدولية يمكن أن تقوم دون التفاوض بغية إبرام الاتفاقات ، لكنها في هذه الحال ستكون مركزة على مواجهات عدائي عابرة بين مجتمع سياسي وآخر . ولا يمكن التوصل إلى اتفاقات إلا إذا تراكبت مصالح الأطراف المعنية في نقطة ما ، مع أنه ربما تكون مختلفة ، وإلا إذا كانت هذه الأطراف قادرة على إدراك ذلك التراكب . وفن الدبلوماسي هو قدرته على تحديد ساحة ذلك التراكب في المصالح ، وعلى جعل الأطراف المعنية ، من خلال المنطق والإقناع ، تعي وجوده وطبيعته .

ولهذا ، يقترن المدى الذي تستطيع الدبلوماسية أن تصل إليه في القيام بأي دور في النظام الدولي أو أداء أي وظيفة فيه ، بالمدى الذي يمكن أن تصل إليه الدول في تصورها للسياسة الخارجية على أنها السعي العقلاني إلى تحقيق مصالح الدولة التي تتراكب ، على الأقل في بعض النقاط من حيث المبدأ مع مصالح الدول الأخرى . وليس بوسع الدبلوماسية أن تقوم بأي دور تعد فيه السياسة الخارجية أداة لفرض ادعاء (وحدة أو مجموعة وحدات) بالسلطة الشاملة ، أو لتعزيز الدين الحق في مواجهة الزنادقة ، أو السعي إلى تحقيق المصالح الذاتية الأنانية التي لا تعير مصالح الآخرين أي اهتمام .

وهناك وظيفة ثالثة للدبلوماسية هي جمع معلومات أو أسرار استخبارية عن دول أجنبية . ويتعين أن تستند السياسات الخارجية لكل دولة إلى معلومات عن التطورات التي تجري في العالم الخارجي . وفي حين تسعى كل دولة إلى حرمان الدول الأخرى من الحصول على معلومات محددة عنها ، فهي ترغب في الوقت ذاته في إفشاء معلومات مدروسة عن نفسها . وهكذا نجد في عصرنا الحاضر مثيلا للتقليد البيزنطي الذي كان يقضي في حقبة من التاريخ أن تعصب عيون المبعوثين الأجانب أثناء رحلتهم إلى عاصمة بيزنطة ، حيث كانوا يحتجزون في القلاع لكي لا يتمكنوا من الإطلاع على أي شيء . لكن البيزنطينيين كانوا أيضا يعمدون إلى إبهار أولئك المبعوثين بعروض تظهر أمامهم الجبروت العسكري للإمبراطورية ، حيث تسعى الدول الكبرى في عالمنا المعاصر إلى حجب معلومات عن خصومها تتعلق بقدراتها العسكرية ، لكنها في الوقت نفسه ، ترغب في إبهار الأعداء بتمرير معلومات منتقاة لهم عن قدراتها العسكرية كسبيل من سبل الردع . وقد كان للدبلوماسيين دوما دور مهم في جمع معلومات سرية ، ولا تتجلى المصالح المتبادلة للوحدات في السماح للوحدات الأخرى بالحصول على معلومات منتقاة عنها بشكل أوضح مما تتجلى في منصب الملحق العسكري الذي بدأ يتخذ شكله الرسمي في بداية القرن التاسع عشر . وقد كان تطور فكرة السياسة الدولية أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر بوصفها مجالا وحيدا للقوى ، ولاسيما فكرة توازن القوى كمركز اهتمام دائم لرجال الدولة ، ينطوي على تدفق متواصل للمعلومات عن الأحداث الجارية في جميع الدول ، وتلك هي الدبلوماسية المستمرة والشاملة التي يبرزها كاليير بهذا القدر من الأهمية .

أما الوظيفة الرابعة للدبلوماسية فإنها تتمثل في التقليل إلى الحد الأدنى من آثار الخلافات الناجمة عن الاحتكاك في العلاقات الدولية . والاحتكاك هو فرك أو حك أشياء متقاربة . ونظرا إلى تجاوز مجتمعات سياسية مختلفة لكل منها قيمه ومواقفه المتحيزة ، فإن هناك على الدوام خلافات في العلاقات الدولية الناجمة عن احتكاك تلك المجتمعات حتى بين الدول والأمم التي تترابط في رقعة واسعة من المصالح المشتركة ، والتي تكون علاقاتها وثيقة وودية . ومثل هذا الاحتكاك مصدر دائم للتوتر والخلاف الدوليين اللذين يمكن ألا تكون لهما علاقة بالمصالح الحقيقية للأطراف المعنية .

ويعد التقليل إلى الحد الأدنى من آثار ذلك الاحتكاك واحتواء هذه الآثار حيث تطرأ من الوظائف الرئيسة للدبلوماسية . وهذه الوظيفة هي التي أطلقت تعريف ساتو للدبلوماسية بوصفها " استخدام الذكاء والبراعة " ، وهي التي تفسر استخدامنا لكلمة " دبلوماسي " لوصف معالجة الأوضاع الإنسانية في إطار الحياة اليومية بطريقة بارعة أو لبقة .

ويجب ألا ينحصر معنى الدبلوماسية في العلاقات الرسمية بين الدول ، بل ينبغي أن نتوسع فيه ليشمل أيضا كيانات سياسية أخرى ذات مكانة بارزة على صعيد السياسة الدولية . وربما جاز لنا أن نعد وكلاء الأمم المتحدة ومنظمات دولية عامة أخرى كمنظمة العمل الدولية ، أو وكلاء المنظمات الإقليمية الدولية ، أشخاصا يعملون في الحقل الدبلوماسي . وتقوم الجماعات التي لا تعد دولا على نطاق واسع كالجماعات على سبيل المثال ، التي تكرس جهودها لأنشطة التحرير الوطني ولكنها تتمتع بمكانة بارزة على صعيد السياسة الدولية ، بتعيين وكلاء لها أحيانا وتخولهم سلطة الدخول في مفاوضات مع دول ومع جماعات مماثلة . ويقر التعريف الذي أورده ساتو بإمكان ممارسة الدول التابعة المهام الدبلوماسية ، وتتضح لنا تاريخيا أن الدبلوماسية كانت سائدة في الماضي بين الدول الأوربية وعدد كبير من الوحدات الدولية التي لم يكن الأوربيين يعدونها دولا[17].

ولقد تمركز صلب الدبلوماسية التقليدية في العلاقات الرسمية بين الدول ذات السيادة ، ولا تزال مصدر قلق كبير تحيط بمسألة تطبيق قواعد وإجراءات تطورت مع الزمن في مجال دبلوماسية ما بين الدول . وذلك في مجال العلاقات الدبلوماسية بين وحدات ليست دولا ذات سيادة ، وهو مصدر قلق انعكس في القرار الذي اتخذه " مؤتمر فينا الخاص بالعلاقات

والحصانة الدبلوماسية " المنعقد في عام 1961 بهدف تنظيم قواعد الممارسة الدبلوماسية . وقد حصر ذلك القرار نطاق اهتمام الممارسة الدبلوماسية في الدبلوماسية التقليدية ما بين الدول مفضلا تجاوز المعضلات التي يمكن أن تنشأ عن الخوض في شئون العلاقات الدبلوماسية للمنظمات الدولية . ومع هذا فمن الواضح أن وحدات ليست دولا تتمتع بمكانة بارزة كعناصر فاعلة في مجال السياسة الدولية ، وهي تمارس الدبلوماسية في علاقاتها وفيما بينها[18].

بينما نرى أن الدبلوماسية هي أداة تنفيذ السياسة الخارجية ، فالدبلوماسي هو الذي يقوم في تنفيذ الخطة التي يرسمها رجل السياسة في الدولة في أوقات السلم ، إلا أن هذا لا يعني بأن الدبلوماسية في تنفيذها للسياسة الخارجية لا تلجأ إلى نوع من الصراع السياسي أو آثاره .

أن ما يطلق عليه بعض الكتاب ، بالدبلوماسية السرية التي تعني قيام الدبلوماسي على إفساد علاقة الدولة المعتمد لديها الدبلوماسي بدولة أخرى ، وفي حالة إخفاق تلك الأساليب السرية، من الممكن للدولة أن تلجأ إلى استخدام الأدوات القتالية لتحقيق أهدافها في السياسة الخارجية، وفي هذا المجال، يقول ميكافيلي في كتابه الأمير: "إنه ولابد أن يسمع زئير الأسد (الحرب) بين الحين والحين كلما أخفق الثعلب (الدبلوماسية) في قطف عنقود العنب"[19].

ويتضح مما تقدم ، أن السياسة الخارجية ، تمثل الجانب التشريعي في الدولة في حين تدخل الدبلوماسية في إطار التنفيذ ، بينما يجب أن تكون السياسة الخارجية في الأنظمة الديمقراطية من الأمور التي يقررها رئيس الوزراء – بموجب طبيعة الأنظمة السياسية " بعد موافقة المجالس الانتخابية منها ، نرى أن تنفيذ هذه السياسة التي توصف بالدبلوماسية ، هو من اختصاص أصحاب الخبرة وأهل الحكمة في وزارة الخارجية [20].

ومن مظاهر اختلاف السياسة الخارجية عن الدبلوماسية ، أن الأولى يجب أن لا تكون سرية على اعتبار أن الرأي العام المحلي لا يمكن الارتباط بمعاهدة أو اتفاقية ، ما لم تكن معروفة عندهم ، أو يوافقون عليه سلفاً ، أمَّا الثانية فإنها تتصف بالسرية[21]. وعلى الرغم أن

الدبلوماسية استخدمت الدعاية من خطابة أو إذاعة أو صحافة للتأثير على الرأي العام ،إلا أنها بقيت في سريتها بغية الوصول إلى تحقيق أهدافها[22].

يميز J.R.Childs بين السياسة الخارجية و الدبلوماسية ، إذ تعد السياسة الخارجية للدولة جوهراً أساسيا لعلاقاتها الخارجية ، بينما الدبلوماسية هي المكان المناسب الحقيقي للعمليات ، حيث تقوم على تنفيذ هذه السياسة [23].

وعلى هذا الأساس ، فان السياسة الخارجية يتم اتخاذ القرار فيها بوساطة أشخاص وهيئات في أعلى المستويات ، أمَّا الدبلوماسية فإنها تزود جهاز اتخاذ القرار بالمعلومات اللازمة[24].

أما تونكين الكاتب الروسي فإنه يعرف الدبلوماسية بأنها النشاط (بما في ذلك مضمون ، وإجراءات وأساليب هذا النشاط الذي تمارسه أجهزة الدولة ، العامة أو الخاصة القائمة على العلاقات الخارجية) الذي يمارسه رؤساء الدول ، والحكومات ، وإدارة الشئون الخارجية ، والوفود والبعثات الخاصة ، والممثليات الدبلوماسية ، ويحقق بوسائل سلمية أهداف وشؤون السياسة الخارجية للدولة.[25]

يقول نيكولسون في الدراسة التي قدمها إلى مؤتمر فينا : " من الناحية التاريخية تنتهي الدبلوماسية حيث تبدأ السياسة الخارجية أن كليهما يتعلقان بتوافق القومية مع المصالح الدولية ، تستند السياسة الخارجية على المفهوم العام للمتطلبات القومية ، أن الدبلوماسية تبحث عن طريق استخدام السبب التوفيقي ، وتبادل المصالح لمنع الصراعات الكبيرة من النشوء بين الدول ذات السيادة ، وهي هيئة عن طريق بحث السياسة الخارجية لتحقيق أغراضها عن طريق الاتفاق أكثر من اللجوء إلى الحرب .

وهكذا عندما يكون الاتفاق متعذراً عن طريق الدبلوماسية التي تعدّ أداة السلم وغير فعالة وقتئذ ، فإن السياسة الخارجية هي الرادع الأخير ، إذ أنها تستخدم الحرب ، التي تعدّ وحدها أداة فعالة للوصول إلى أهداف الدولة " [26].

ويؤكد نيكولسون في هذا المجال ، بأن الدبلوماسية تتوقف عن وظائفها عندما تنشأ أزمات قومية دولية كبيرة ولاسيما في أوقات الحرب ، إذا بالإمكان القول أن أهداف الدبلوماسية كالسياسة الخارجية هي حماية الأمن القومي ولكن بوسائل سلمية ، وهذا يعني أن

الدبلوماسية لا تعطي أية مساعدة أو عون للفعاليات العسكرية بغية منع نشوب الحرب . والحق، أن الدبلوماسية لا تتوقف عن أداء وظائفها كما يقترح نيكلسون في وقت الحرب ، على الرغم من الأنشطة الضرورية للدور المختلف للدبلوماسية في زمن الحرب ، أن عمل الدبلوماسية كوزراء الخارجية من الممكن أن يتوسع في هذه المدة بالذات[27].

ولابد أن نميز في هذا المجال، مصطلح السياسة الخارجية من الدبلوماسية والعلاقات الدولية والسياسة الدولية، والحق، أن هناك اتفاقاً قليلاً حول الفروقات بين هذه المصطلحات[28]. أن هذه المصطلحات تتركز حول وصف المصالح والأعمال وعناصر القوة للقوى الكبرى[29].

أن مصطلح الدبلوماسية من أكثر المصطلحات امتزاجاً وعلاقة بالسياسة الخارجية ، إذ كثيرا ما يستخدم الدبلوماسية بمعنى واسع تتضمن صنع وتنفيذ السياسة الخارجية ، أمَّا معناها الفني ، كما في تعريف جورج كينان : " عملية الاتصال بين الحكومات " [30].

فالدبلوماسية في الكلام العام ، تعني دراسة الوثائق إذ أنها مشتقة من الكلمة الإغريقية Diploma التي تعني بأنها مطوية بشكل معين [31]. إلى جانب ذلك فإن الدبلوماسية تعني دراسة الوثائق القانونية والإدارية والمهمة ، كما أنها تتضمن دراسة السجلات والمفكرات والمخطوطات [32].

أمَّا Quincy Wright، فإنه يعرف الدبلوماسية : بأنها تعني استخدام التكنيك في أية مفاوضة أو في محضر جلسة ، وبصورة عامة أنها تستخدم في العلاقات الدولية بأنها تعني فن المفاوضة لتحقيق الحد الأدنى لأهداف الجماعات مع الحد الأدنى من الكلفة[33].

وفي هذا المجال، يشبه Quincy Wright الدبلوماسية بالحرب ، إلا أنها تختلف عنها ، بسبب استخدام الكلمات في الدبلوماسية أكثر من الأسلحة المادية [34].

وأكثر من ذلك ، أن الدبلوماسية تستخدم أفضل الظروف الملائمة للحرب وتحقيق الحد الأدنى للمنافع منها [35]. أمَّا جوزيف فرانكل فيعرف الدبلوماسية بأنها " عملية الاتصال بين الحكومات " [36].

أمَّا المفهوم المعاصر للدبلوماسية فإنها تعني الحرفة المبنية على التدريب الذهني الطويل والتحقيق الذي نستطيع عن طريقه تأدية خدمة معينة ، وفي عمليات الحرفة نرى بأن الأعضاء

يستطيعون عن طريق هذه الحرفة تركيز دوافعهم في الحكم المحلي لتأمين أهلية العضوية ومعيار أوامر الخدمة على الأقل منعزلة عن الجماعات الضاغطة[37].

هذه العملية البسيطة في الواقع تفترض أكثر من أسلوب واحد من أساليب التحليل العلمي، التي تتضمن الآتي:

1. أسلوب تحليل المضمون Content Analysis

تحليل المضمون هو محاولة لفهم مضمون رسالة معينة في شكل كلمات أو رموز انفصلت عن شخص صاحبها . بهذا المعنى تحليل المضمون ينطلق من مقومات ثلاث :-

أ- إن أي تعبير لفضي أو رمزي بالكلمة أو بالإشارة ما هو إلا حقيقة سلوكية ، أو بعبارة أخرى هو رد فعل لمنبه ارتطم بجسد .

ب- ينطلق مفهوم تحليل المضمون من مفهوم آخر ، أساسه هو إمكانية تحويل أي رسالة مكتوبة أو مسموعة إلى لغة رقمية .

ج- إن الرسالة الاتصالية رغم إمكانية تحويلها إلى لغة رقمية إلا أنها لا تعد مجرد مصطلحات رمزية .

وهنا لابد أن نؤكد على حقيقتين :-

أ- أن كيفية الوصول إلى الخصائص بوساطة تحديد العلاقات المميزة للرموز والعبارات ، هي ليست بعملية سهلة ، كما يتراءى إلى الذهن في بداية الأمر بسبب أهمية الرموز بالنسبة للباحث ، أكثر من كونها أنها تعبر عن مفاهيم .

ب- إن فكرة تحليل المضمون التي تجسد مفهوم تحليل المضمون ، التي لها علاقة بعملية الانتقال من الميكرو إلى الماكرو ، التي تعد من أكثر أنواع تحليل المضمون صعوبة ، فضلا عن وجود معوقات هي مثيرة للمناقشة [38] .

2. أسلوب الاتصال Communication Method
3. أسلوب المقارنة المنهاجية Comparstine Methodlogy
4. أسلوب إعداد الرسالة الإعلامية Techmigue of Mass Media

وهكذا تتحدد وظيفة البحث العلمي من حيث علاقاتها بالوظيفة الدبلوماسية في نواحٍ ثلاث:

1. أساليب تقصي الحقائق.
2. طرائق تفريغ النتائج وترتيبها.
3. وسائل التنبؤ بالأحداث.

كل من هذه النواحي يقود إلى فرع معين من فروع المنطق العلمي ذي الخصائص الذاتية: الأول نظرية البحث الميداني، والثاني نظرية البحث التجريدي، والثالث نظرية التدبير السياسي.

رغم ذلك ، فالتحليل العلمي في العمل السياسي الخارجي من الممكن أن يواجه بعض الصعوبات ، يمكننا إيجازها في الآتي :

1- عدم الاقتناع من جانب الجيل القديم . ذلك أن السياسة الخارجية لا تزال تخضع للجيل الذي نشا وتكون في ظل المناهج التقليدية التي تدور حول المعرفة التاريخية والتحليل القانوني .

2- يزيد من ذلك صعوبة تطبيق التحليل العلمي على مناهج إعداد السياسة الخارجية فيما يخص العمل الدبلوماسي ، حيث نجد في نطاق ذلك الحقائق الثلاث الآتية:[39]

أ- عدم وجود خط واضح للفصل بين الخطة والتنفيذ .

ب- أن النشاط الدبلوماسي يكاد يستحيل تحويله تحويلا كميا والتعبير عنه بلغة رقمية .

الدبلوماسية المعاصرة ونظرية التفاوض

كان هناك اتجاه في الولايات المتحدة الأمريكية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية أن وزراء الخارجية الأمريكية يقومون بواجبات التفاوض وليس كمخطط للسياسة الخارجية ، وأكثر من هذا نظر إليها في كونها تقوم بحل القضايا المحدودة عندما تظهر أكثر منه كحامل لإستراتيجية معينة يصوغ شكل الأهداف. التفاوض الدبلوماسي هو وسيلة من وسائل تسوية النزاعات الدولية. إنه يهدف إلى صياغة اتفاق مشترك بين أطراف النزاع في إطار رعاية مصالحهم المتبادلة[40].

ينطوي التفاوض على عملية مساومة بين أطرافه الذي يختلفون في أهدافهم وقدراتهم ومصالحهم . وبقدر ما تنجح المساومة في إرضاء حاجات وأهداف المتنازعين ، بقدر ما تنجح في إنجاز التسوية المنشودة .

تميز النظرية التفاوضية في السياسة الخارجية بين الحوار (Dialogue) والمفاوضة (Negotiation). فالحوار يسبق التفاوض ، ويمهد له . هكذا مهد الحوار المصري – الصهيوني، الذي بدأ مع زيارة الرئيس المصري الأسبق أنور السادات للقدس في تشرين الثاني 1977 ، لمفاوضات "كامب ديفيد " في العام 1978 ، التي مهدت بدورها لإبرام " معاهدة السلام المصرية – الصهيونية " في آذار 1979 . وقد يخفق الحوار في التمهيد لمفاوضات ناجحة ، كما أخفق حوار الشمال والجنوب في إنجاز مفاوضات هادفة إلى عقد اتفاقات دولية .

تستند النظرية التفاوضية إلى عنصر الاتصال (Communication) الذي يوفر معلومات ضرورية للأطراف المفاوضين ، ففي سياق الاتصال يجري تبادل المعلومات ، أو تجميعها ، وهي تساعد لاحقا على إنجاح العملية التفاوضية من خلال الإقناع والتأثير في اتخاذ الموقف . يمكن أن تتعدد قنوات الاتصال بين الأطراف ، أثناء المفاوضات أو بعدها . وتختلف طبيعتها فتكون سرية أو علنية [41] .

وتميز النظرية التفاوضية بين نوعين من المساومات : المساومات التصالحية التي تركز على إبراز المصالح المشتركة ، والمساومات القسرية التي تجري تحت ضغوط التهديد واستعراض القوة . وإذا لم تنجح المساومات القسرية في دفع أطراف التفاوض نحو المساومات التصالحية فإن العملية التفاوضية تصبح مهددة بالتوقف . يمكن الدمج أحيانا بين النوعين القسري والتصالحي بحيث يدعم أحدهما الآخر من إنجاح المفاوضات [42] .

من أبرز عناصر النظرية التفاوضية : مصالح أطراف العملية التفاوضية ، وإستراتيجيات المساومة ، وقنوات الاتصال بين الأطراف ، ودور الطرف الثالث بين الطرفين المتنازعين ، والعوامل المؤثرة في تحديد نتيجة المساومة .

عملية التفاوض هي جوهر العلاقة بين القوى الدولية، والتفاوض بهذا المعنى أكثر اتساعاً من القانون الدبلوماسي، فبرغم أن الاتصال على مستوى رئيس الدولة الذي يوصف بدبلوماسية القمة، إلا أنه في الواقع لا يعبر عن هذه الحقيقة لأنه نوع من الاتصال بين القوى

السياسية الحاكمة من خلال إلغاء عملية التمثيل الدبلوماسي، فضلاً عن ذلك ، ينبغي ملاحظة ذلك: أن غالبية الاتفاقيات الدولية المعاصرة لا يتم تنفيذها من خلال العمل الدبلوماسي، وإنما بوساطة خبراء السلطة أو من في حكمهم. ومن ثم فإن علاقة التفاوض يجب أن تفهم أنها مرادف للعمل الدبلوماسي [43] .

هناك مجموعة من القرارات المتعلقة للعمل الدبلوماسي المقترنة بالعمل الدبلوماسي التي تسمى بالقرارات اليومية وهي تقف من التحليل العلمي موقف الرفض بسبب ضيق الوقت وقيود إمكانيات استخدام المنطق العلمي بالنسبة لمثل تلك القرارات .

يقول العالم الأمريكي هاو أن وظائف التخطيط السياسي في العالم الدبلوماسي يجب أن يتجه بصفة خاصة إلى اهتمامات ثلاث : ما يسمى بالمشاكل المحدودة ، ما يعرف باسم دراسة السياسات القومية ، ما يعبر عنه باتخاذ موقف الخصم أو العدو [44] .

ولتحقيق هذه الأهداف من الدبلوماسي ، ينبغي أن نأخذ بنظر الاعتبار الملاحظات الآتية :-

1- ارتباط المخطط وبصورة مباشرة مع القرارات اليومية.

2- لابد أن يأخذ الدبلوماسي بنظر الاعتبار ، مفهوم اللعبة الصفرية في العلاقات الدولية ، أي بتعبير أدق ، اقتران عمله الدبلوماسي بموضوع الربح والخسارة .

3- أن موضوع الخصم ، بالنسبة للدبلوماسي والمرتبطة بتوصياته المتعلقة بالحركة ، يجب أن تهيمن على طبيعة دراسته وأبحاثه ونتائجه .

4- أن المنطق العلمي للدبلوماسية الحديثة ، لا يكون بمعزل عن أبعاد التخطيط الأخرى للوجود القومي. بمعنى آخر، ارتباط المخطط ارتباطا مباشرا بجميع أجهزة التخطيط الأخرى، من تخطيط دعائي إلى تخطيط اقتصادي، فضلا عن التخطيط الاجتماعي.

4- كل هذه الأمور جميعا، يفرض على العمل الدبلوماسي، البحث عن أساليب جديدة، رغم التكاليف الباهظة لها والصعوبات المرتبطة بها[45].

الخاتمة

من خلال ما اتضح، نستطيع أن نميز في أساليب العمل الدبلوماسي بين أنواع أربعة العمل الدبلوماسي بالطريق التقليدي أو السري أي بأسلوب المفاوضات ثم العمل

الدبلوماسي بالطريق الإعلامي أو الدعائي، ثم العمل الدبلوماسي بالطريق الخطابي وأخيراً طريق المهاجمة والاستفزاز[46] . الأول يقوم على السرية ويعرف المفاوضات كقاعدة أساسية لتنفيذ الغاية من العمل الدبلوماسي، ويخضع لما عرفناه من القواعد التقليدية، أما الأسلوب الثاني فقد فرضته الثورة الإعلامية التي لم يعرفها العالم من قبل، وقد أضحينا اليوم نسمع عن دبلوماسية الإذاعة أو بصفة خاصة عن دبلوماسية التلفاز، ولعل من تتبع الصراع الفكري بين المستشار الإعلامي لدولة الكويت في الأمم المتحدة في السبعينات من القرن الماضي وبين معلق التلفاز الأمريكي يستطيع أن يفهم بوضوح كيف أن هذا الأسلوب من أساليب الدبلوماسية يفترض إعدادا وتخصصاً من نوع آخر.

فالدبلوماسية التقليدية التي كانت وظيفتها تبعاً لذلك بأنها من حيث العمل الدبلوماسي تقوم على أسس أربعة[47]:

Courlens, Dignifiect, Continuous, and Gradual

أي الذوق والكرامة والاستمرار والتدرج، لا يمكن أن تصلح لإعداد الدبلوماسي الإعلامي.

الأسلـــوب الثالث هو الذي يوصف في بعض الأحيان بدبلوماسية الطريق العام: La diplomalie sur la place publique الذي يصفه الكتاب الأنجلوساكسون بأنه دبلوماسية الصوت العالي Diplomacy by loud-Speaker هو نتيجة طبيعية من تطبيق الأساليب التقليدية في الحياة السياسية الداخلية والمرتبطة بالمجتمع الجماهيري والصراع السياسي في النظم الليبرالية في هذا الأسلوب تبرز الغوغائية وتسيطر على العمل الدبلوماسي قواعد أخرى لا يمكن إلا أن تناقض التقاليد الدبلوماسية التقليدية، لقد كان الدبلوماسي يوصف بأن واجبه هو أن يكون عيناً وأذناً لدولته eye and ear ولكن هذه الدبلوماسية الجديدة تجعل منه فقط لساناً.

الأسلوب الرابع والأخير ، هو الذي فرضه الصراع الأيديولوجي، هو امتداد للأسلوب السابق ولكنه لا يقتصر على مجرد الخطب الرنانة التي لا تقود إلى شي وإنما يضيف إلى ذلك عنصر الهجوم والاستفزاز مع تضخيم لمظاهر النجاح المرتبطة بنظام سياسي معين وتقليل لظاهرة الإخفاق المرتبطة بنظام سياسي آخر، وهذا ما يطلق عليه خبراء الرأي العام Diplomacy by Insult والذي هو تطبيق للعمل الدعائي في أدق معانيه.

ج. من خصائص الدبلوماسية المعاصرة الطبيعة الحضارية لها، أن الدبلوماسية التقليدية في ما يخص أسلوب العمل الدبلوماسي لم يختف اختفاء كلياً، وإنما جاءت أساليب أخرى جديدة لتكمل وتمكن الدبلوماسي من أدائه وظيفته، ولكن هنا وبخصوص الطبيعة الحضارية نستطيع أن نلمس بوضوح وبصراحة مدى التطور الذي أصاب الوظيفة الدبلوماسية ، فلم تعد هذه الوظيفة مجرد علاقة وتمثيل بين حكومات وإنما أضحت علاقة وتمثيل بين شعوب وحضارات Citizen diplomacy Cilizento وقد نتج عن ذلك قضايا إيجابية ، وأخرى سلبية على مستوى السلوك السياسي الخارجي وهنا لابد من أن نؤكد الحقائق الآتية[48]:

(1) لم يعد السفير إلا موظفاً عادياً قد يختلف من حيث درجته الإدارية ولكنه لا يختلف من حيث وظيفته ومن ثم فقد أضحت حريته في الحركة محدودة وضيقة.

(2) إن وظيفة السفير لم تعد الدفاع عن وجهة نظر معينة أو مجرد تمثيل رمزي، وإنما أساساً هي اكتساب أوضاع جديدة اقتصادية بل وبصفة خاصة ثقافية قبل أن تكون سياسية.

(3) بهذا المعنى أصبح الموظف الدبلوماسي يمثل حضارة معينة في تماسها بحضارة أخرى، وهكذا هو يمثل صورة الرجل العادي الذي ينتمي إليه مجتمع معين لآخر، يسعى بكل طاقته لأن يجعله يبدو منسجماً مع هذا المجتمع الآخر.

أضف إلى هذا ، طبيعة التطور الذي أصاب أسلوب التفاوض ذاته Process of Negoliation وما يفرضه هذا بدوره من استعداد معين وكفاءات معينة متعددة ومتنوعة: إتقان للغات، ثقافة متسعة، سرعة البديهة، دقة وحرص في التعبير، صلاحية للتلاعب بالألفاظ ، لقد حل محل تفاوض الصالونات المناقشة التي كثيراً ما تكون علانية في جلسات مفتوحة يحضرها الجمهور وتدعى إليها الصحف وبرغم أن الأسلوب التقليدي لم يختف كله، إلا أن هذا الأسلوب الجديد يفرض مواهب جديدة هي خافية على الدبلوماسية التقليدية ، ويمكننا أن نذهب إلى القول من أن الدبلوماسية المعاصرة بهذا المعنى هي خط الهجوم الأول

وخط الدفاع الأخير في الصراع الحضاري والأيديولوجي الذي يعد من تقاليد المجتمع الدولي منذ بداية الحرب العالمية الثانية(49).

---

[1] (Harold Nicolson, Diplomacy then and Now , pp . 198 – 204 .
والدكتور حامد ربيع ، العلوم السلوكية ، الجزء الثاني ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، 1972 ، ص 18 – 26 .

[2] (Turkiyenin Uluslarasi Konumu , 65 baski ,Kure Yayinlari , Vefa , Istanbul , 2011 , ss.1–4. , Ahmet Davutoglu stratejik Derinlik

[3]) الدكتور حامد ربيع ، نظرية التحليل السياسي ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، 1967 ، ص 49 .

[4]) كريس براون، فهم العلاقات الدولية، ترجمة مركز الخليج للأبحاث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، 2004، ص 3.

[5]) الدكتور حامد ربيع ، نظرية التحليل السياسي ، مصدر سبق ذكره ، ص49 –50 .

[6]) استيفاني لوسن ، العلاقات الدولية ، ترجمة عبد الحكم احمد الخزاعي ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2014 ، ص 57 .

[7]) استيفاني لوسن ، مصدر سبق ذكره ، ص 58 .

[8]) المصدر نفسه ، ص 58 .

[9]) الدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، 1973 ، ص101 .

[10]) الدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص 102 ، 127 . ومارسيل ميرل ، سوسيولوجيا العلاقات الدولية ، ترجمة د. حسن نافعة ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ، 1986 ، ص108 – 119 .

([11])Nye, Jr, Joseph S ., Is The American Century Over ? Copyright , 2015 و pp .2 –8
.و الدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره ، ص 101 .

[12]) الدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص 101 .

[13]) دورتي ، روبرت بالستغراف ، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية ، ترجمة د . وليد عبد الحي ،كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ، 1985 ، ص 12 .

[14]) الدكتور عز الدين فودة ، النظم الدبلوماسية ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 1989 ، ص63.

[15]) هيدلي بول ، المجتمع الفوضوي دراسة النظام في السياسة العالمية ، ط 3 ، مركز الخليج للأبحاث ، دبي ، الإمارات العربية المتحدة ، 2006 ، ص 241 – 242 ، 263 .

[16]) هيدلي بول ، مصدر سبق ذكره ، ص 251 – 253 .

[17]) هيدلي بول ، مصدر سبق ذكره ، ص 243 .

[18]) المصدر نفسه ، ص 243 .

[19]) الدكتور عز الدين فودة ، مصدر سبق ذكره ، ص 65 .

يقول ميكافيلي في كتابه الأمير : " وعلى الأمير الذي يجد نفسه مرغما على تعلم طريقة عمل الحيوان ، أن يقلد الثعلب والأسد معا ، إذ أن الأسد لا يستطيع حماية نفسه من الإشراك ، والثعلب لا يتمكن من الدفاع عن نفسه أمام الذئاب ، ولذا يتحتم عليه أن يكون ثعلبا ليميز الفخاخ وأسداً ليرهب الذئاب " . راجع : ميكافيلي ، الأمير الكتاب المشهور عن السياسة والسلطان ، ط2 ، تعريب خيري حماد ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ، 1967 ، ص124 ، وحول مفهوم الغاية تبرر الواسطة عند ميكافيلي . راجع : مطارحات

ميكافيلي ، تعريب خيري حماد ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ، 1962 ، ص141–151.

[20]) هارولد نيكولسون، الدبلوماسية، ترجمة محمد مختار الزقزوقي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1957، ص43.

[21]) شارل ، الدبلوماسية ، ترجمة خيري حماد ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، 1960 ، ص9.

[22]) الدكتور عز الدين فودة ، مصدر سبق ذكره ، ص 64–66.

([23]Perkins Palmer , International Relations : The World Community in Transition , Second Edition , U. S.A, 1957 , P.97.

([24]Ibid .,

[25]) ج. أ. تونكين، القانون الدولي العام، ترجمة أحمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1972،ص 210.

جاء في برنامج الحزب الشيوعي السوفيتي : (كانت الدبلوماسية ولم تزل ، بالنسبة إلى الدول الامبريالية ، أداة لفرض إرادتها على سائر الشعوب ، وسلاحا لإعداد الحروب). إلا أن الفقه السوفيتي قد غير من هذا المفهوم كثيرا ، وذلك لتطور أدوات السياسة الخارجية ، وكانت الدبلوماسية من أكثر أدوات السياسة الخارجية أهمية في معالجة وتسوية قضايا الشئون الخارجية . وهنا يرى تونكين أن مجالات العلاقات بين الدول ، اتسعت اتساعا كبيرا بالنسبة إلى ما كانت عليه في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، وأصبحت تضم مجالات جديدة ، كالتعاون العلمي والفني ، والمشاركة في ميدان الصناعة ، والتأمين الاجتماعي ، والاتفاقيات الثقافية وغيرها . فبينما كانت مجالات السياسة الخارجية والدبلوماسية كافية بذاتها في وقت السلم ، فقد أصبحت السياسة الخارجية تتضمن اليوم الكثير من المسائل التي تتجاوز نطاق الدبلوماسية . راجع : المصدر نفسه ، ص212، 214 و Grigory Tunkin, Contemporary International Law, Progress Publishers, Moscow, 1996,P. 190.

([26]Ibid .,

([27]Ibid .,

([28]K.J.Holesti , Op.Cit .,PP.20-21.

([29]Frankel , Joesph , International Relations , Second Edition , Oxford University Press , 1969 , P.96.

([30] Ibid .

([31]The new Encyclopedia Britannia in 3 ovolum . vol .5 , 1974 , P.807.

([32]Ibid .

([33].Wirght , Quincy , The Study of International Relations , New York Appleton – crofis , Inc , P.158.

([34]Ibid .

([35]Ibid .159

([36]World Politics , Vol , XIV , July , No .9 , 1962 . P.561.

([37]Ibid ,. P.562.

[38] – الدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص109– 112.

[39] – المصدر نفسه ، ص103–104

[40]) يميل الرؤساء في الولايات المتحدة الأمريكية الذين يتوجهون إلى السياسة الخارجية إلى الاعتماد بدرجة كبيرة على مستشاريهم للأمن القومي ، وإعطائهم أهمية متميزة ، لقربهم من الرئيس ، بسبب اللقاءات اليومية المتكررة ، ومساعدتهم في تشكيل وجهات النظر الرئاسية . من هذا المنطلق، نرى أن مجلس الأمن القومي في الولايات المتحدة الأمريكية مكانة خاصة عند الإدارة الأمريكية بكونه الساعد التنفيذي للرئيس في كيفية الاتصال مع العالم الخارجي .

في حين يميل الرؤساء في الولايات المتحدة الأمريكية الذين لهم تطلعات داخلية ، إلى منح وزراء الخارجية صلاحية التفويض بالسياسة الخارجية ، ويعهد إليهم بحرية كيفية التصرف في عملية إعداد السياسة الخارجية ، ولهذا السبب يصبح مستشار الأمن القومي مديرا للموظفين ومنسقا للسياسات، وبالنتيجة يكون الرئيس أكثر ميلا إلى الاستماع إلى نصائح وآراء وزير الخارجية وطاقم وزارته. راجع: زبغنيو بريجنسكي، الفرصة الثانية ثلاثة رؤساء وأزمة القوة العظمى الأميركية ، ترجمة عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت، 2007، ص 14 – 15.

Nye, Jr, Joseph S, op . cit . , p . 35 .

ويتباين تأثير وزارة الخارجية وفقا لعلاقة وزير الخارجية مع صاحب القرار السياسي ،كالحالة مع وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية الأسبق " الكسندر هيغ " الذي أول من عينه الرئيس ريغان في الوظيفة المذكورة ، ولكن محاولته للحصول على النفوذ قوبلت بالرفض من موظفي البيت الأبيض . والنزاع البيروقراطي الداخلي التي اتسمت بها علاقات " هيغ " مع مجلس الأمن القومي وموظفي البيت الأبيض كانت في الغالب هي القاعدة وليس الاستثناء . وأعاد تعيين جورج شولتز في منصب وزارة الخارجية النفوذ إلى وزارته ، لان شولتز وريغان تشاركا الاحترام المتبادل ، ووجهات نظر سياسية متقاربة . للمزيد من التفاصيل راجع:

Ronald Reagan An American Life , Threshold Editions , New York London Toronto Sydney , 2011 , pp. 453 – 457 .

[41]) جيرارد إ . نيرنبرج، أسس التفاوض، ترجمة حازم عبد الرحمن، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 1988، ص 18 .

[42]) الدكتور عدنان السيد حسين ، نظرية العلاقات الدولية ، ط 3 ، بيروت ، 2010 . ص 134 – 135 .

وجيرارد إ . نيرنبرج ، مصدر سبق ذكره ، ص 18 – 20 .

[43]) الدكتور حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية ، مصدر سبق ذكره ، ص 43 – 44 .

[44]) المصدر نفسه ، ص 105 .

[45]) المصدر نفسه ، ص 106 .

[46]) هذا الأسلوب يوصف بدبلوماسية الصوت العالي التي تكونت عن طريق المنظمات الدولية ، ويعني هذا الأسلوب أن الدبلوماسي يستخدم عبارات العنف والشدة في المفاوضات ليختلق المواقف بغية أن يحدث تأثيرا معينا لا على من يواجهه على مائدة التفاوض ، وإنما على خلفية جماهيرية معينة ، أو بمعنى آخر على رأي عام معين بعيد عن مكان اللقاء، خرتشوف عندما خلع حذاءه ووضعه أمامه في الجمعية العامة للأمم المتحدة معلقاً أنه لو تكلم مندوب الفلبين فلابد أن يستخدم تلك الأداة لإسكاته ، لم يكن يقصد في واقع الأمر مندوب الفلبين وإنما كان يتجه بحديثه إلى تلك القوى السياسية التي كانت قد بدأت تتحرك ضد الاتحاد السوفيتي ، هي حركة عصيبة كما يبدو ، ولكنها في الواقع خطوة محسوبة ومدروسة .

استخدم خروتشيف النهج نفسه من خلال تهديده أياه في لقاءه الشهير مع الرئيس كيندي في فينا عام 1961 ، حذا يلتسن النهج نفسه عندما حاول ابتزاز بيل كلينتون من خلال دبلوماسية الصوت العالي محاولا أن يظهر نفسه جيدا أمام خصومه السياسيين في الداخل ، ففي الأسبوع الأول الذي سبق القمة حاولوا أن يحاكموه في مجلس الدوما ، إلا أنهم أخفقوا في ذلك ، لكن تحركهم حصد عددا كبيرا من الأصوات .

[47] (Curkan Zengin , Hoca Turk Dis Politikasi nda " Davutoglu Etkisi " , Yayin Sanayi ve Ticaret AS Istanbul , 2010 , s . 23 .

[48] (Ahmet Davutoglu , Teoriden Pratige Turk DisPolitikasi Uzerine Konusmalar , Istanbul , 2013 , s . 18 .

[49] (Ibid ., s . 25 .